# المساجد - بيوت الله

الحمد لله رب العالمين ولى الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين.

والصلاة والسلام على إمام المتقين وقدوة الناس أجمعين وعلى آله وصحبه والتابعين.

أما بعد :

المسجد من المعالم البارزة فى حياة الإسلام والمسلمين، إنه علامة مميزة فى تاريخ هذا الدين، تحدث عنه الكتاب العزيز أكرم حديث، وأنزله الرسول الأمين منزلة الإعزاز والإكبار والعناية. والمساجد هي أحب البقاع إلى الله فى الأرض، هى بيوته التى يدعو إليها عباده، وفيها يشملهم برحمته بعد أن يلبوا النداء - فيها يلتقون على طهارة ووحدة، ويعبدون الخالق البارئ، ويقيمون مجتمعا للمعرفة والطاعة، ودينا من الطهر والجلال فى عالم امتلأ بالزيف والخداع.

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **فى بيوت أذن الله أن ترفع، ويذكر فيها اسمه، يسبح له فيها بالغدو والآصال، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا، ويزيدهم من فضله، والله يرزق من يشاء بغير حساب** ﴾. سورة النور آيات : ٣٦، ٣٧، ٣٨.

فى هذه الآيات يتحدث الله سبحانه وتعالى عن المساجد - وعن الرجال المؤمنين الذين يعبدونه فيها، وعما أعده لهم من ثواب.

أما الحديث عن المساجد نفسها، فالله يقول : إنها بيوت يجب أن ترتفع إلى السماء، وقد أمر الله بذلك، وبتعهدها وتطهيرها لأنها منارات للهدى، وواحات للخير يلجأ إليها المؤمنون حين تشتد عليهم تكاليف الحياة، وحين تزحمهم الدنيا بما فيها من مصاعب ومتاعب - وهناك فى هذه البيوت الطاهرة يجدون الأمن والسلام، ويستروحون نسمات الرضوان، الواحد منا يشعر فى كثير من الأوقات كأنه يسير فى صحراء قد اشتد عليه لفح الهجير، وطال به الشوق إلى الماء العذب النمير، فإذا ما دخل مسجداً من المساجد، خف عنه لفح الهجير، وزالت عنه هموم الدنيا، وارتوت أحاسيسه ومشاعره بالروحانية.

وبناء المساجد نعمة كبرى رغب فيها الرسول بعد القرآن - عن عثمان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «من بنى مسجداً يبتغى به وجه الله، بنى الله له مثله فى الجنة».

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد فى الدور، وأن تنظف وتطيب» - وأما السبب الذى ذكرته الآيات لبناء المساجد فكونها أماكن يذكر فيها اسمه، ويعبد فيها وحده، فهى خالصة لطاعته وتوحيده، لا يذكر فيها غيره، ولا يقدس فيها سواه ﴿ **وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا** ﴾ سورة الجن ١٨. والعبادة فيها قائمة على الإخلاص ﴿ **وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد، وادعوه مخلصين له الدين** ﴾ سورة الأعراف آية ٢٩. وهذا الدعاء المخلص يتم فى كل وقت، عند الصباح وعند المساء، وفيما بين الصباح والمساء ﴿ **يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال** ﴾ سورة النور آيه : ٣٦.

هذا عن المساجد - أما الرجال الذين يسبحون ويعبدون فى هذه المساجد فقد وصفتهم الآيات بأنهم رجال لا تشغلهم الدنيا عن ذكر الله، ولا عن الصلاة والزكاة وغيرهما من الفرائض - إنهم يجمعون بين العمل والعبادة، إنهم يبيعون ويشترون حتى إذا ما ارتفع صوت المؤذن بالنداء الحبيب تركوا التجارة والعمل، وأسرعوا إلى الله مخلصين، لا تشغلهم الدنيا بزخارفها، ولا التجارة بأرباحها ومكاسبها، للمسجد وقته، وللعمل فى الدنيا وقته، عن عبدالله بن عمر أنه كان فى السوق فأقيمت الصلاة فأغلقوا حوانيتهم، ودخلوا المسجد فقال ابن عمر: فيهم نزلت ﴿ **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله** ﴾ سورة النور ٣٧ - ولقد وضع القرآن الكريم القاعدة السليمة للجمع بين العبادة والعمل فى قوله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله، وذروا البيع ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون - فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض، وابتغوا من فضل الله، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** ﴾. سورة الجمعة آيات : ٩، ١٠، ١١.

فى وقت الصلاة نحن مطالبون بالعبادة ﴿ **فاسعوا إلى ذكر الله، وذروا البيع** ﴾. سورة الجمعة آية ٩.

وفى وقت العمل نحن مطالبون بالسعى. وطلب الرزق ﴿ **فانتشروا فى الأرض، وابتغوا من فضل الله** ﴾ سورة الجمعة آية ١٠.

وأخيرا تتحدث الآيات الكريمة عن الثواب - فالله يجزي هؤلاء الرجال بأحسن ما

كانوا يعملون. ذلك لأنهم فعلوا ما فعلوا خوفاً من الله، وخشية من يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار، والله كريم، ولا يحب أن يكون عطاؤه على قدر العمل، فهو يزيدهم من فضله، والزيادة لا تكون إلا من فضل الله، وفضل الله لا حدود له.

﴿ **ليجزيهم الله أحسن ما عملوا، ويزيدهم من فضله - والله يرزق من يشاء بغير حساب** ﴾ سورة النور آيه ٣٨.

## مجتمع المسجد

ومجتمع المسجد ظاهرة فريدة فى الحياة، وصورة من صور اللقاء والطاعة بين المسلمين، ورابطة من الروابط المتينة القائمة على أصول من تقارب الأرواح ولقاء المشاعر.

وإذا كان لكل مجتمع صفاته وأهدافه، فإن مجتمع المسجد يقف شامخاً بين كل المجتمعات، لأنه يرتكز على أسس متينة من الألفة والمحبة، ومن الصفات التى لا يمكن أن توجد فى غيره.

وأول ما يمتاز به هذا المجتمع / الطهارة - فهو مجتمع طاهر - الناس فيه لا يلتقون إلا على طهارة، ولا يذهبون إلى اللقاء إلا بعد أن يتخلصوا من الدنيا وما فيها من مظاهر مادية - وبهذا نستطيع أن نقول : إن الطهارة فى مجتمع المسجد نوعان - طهارة البدن، وطهارة الروح والفكر.

**أما طهارة البدن** - فقد عرفنا أن الإسلام يشترط للصلاة طهارة كاملة فى الجسم، وفى الملابس وفى المكان - ولا تصح الصلاة إذا كانت هناك نجاسة فى أى واحد من هذه الثلاثة، فالطهارة شرط لصحة الصلاة والرائع الذى يلفت النظر أنك لا تجد واحدا ذهب للعبادة فى هذا المجتمع إلا إذا كان طاهرا - فهل يوجد مثل هذا فى أى مجتمع آخر؟.

إن الإسلام ليذهب إلى أبعد من هذا. إنه لا يكتفى بالطهارة الحسية، بل يطلب من المسلمين أن يكونوا على زينة واضحة، ونظافة كاملة، وعلى رونق وبهاء كلما ذهبوا إلى مجتمع المسجد ﴿ **يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾ سورة الأعراف آيه ٣١. والزينة هي اللباس النظيف، والهيئة الجميلة، وهذا أمر محبوب مرغوب فيه عند كل صلاة ، لأنك تذهب للقاء الحبيب، وتقف بين يدى خالقك ورازقك، ومن الواجب ذوقا وأدبا أن تكون على زينة مناسبة - وأنت أيضا فى هذا المجتمع تلتقى بإخوانك المسلمين، ومن واجبك أن تكون نظيفا، طيب الرائحة، مقبول الهيئة.

ومن كمال الطهارة البدنية فى مجتمع المسجد ألا تأكل شيئا توذى رائحته جيرانك فى الصلاة، والزينة حلال للمسلم فى كل مكان حتي فى غير الصلاة، قال تعالى : ﴿ **قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده، والطيبات من الرزق** ﴾ سورة الأعراف آية ٣٢. وروى البخارى عن ابن عباس أنه قال : «كل ما شئت، والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان : «سرف أو مخيلة». فإذا ابتعدت عن الإسراف، وعن الخيلاء والكبرياء فتزين، وتجمل فى طعامك وشرابك ولباسك، وكن حسناً نظيفا، فإن الله جميل يحب كل جميل، وجمالك مطلوب منك وبخاصة فى المجتمع الطاهر : مجتمع المسجد، ويناسب هذا المجتمع أن تستعمل الطيب حتى تفوح فى المسجد رائحة زكية، وتلف القائمين فى رحاب الله بجو معطر ندى - روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : «كنت أطيب النبى صلى الله عليه وسلم بأطيب ما يجد، حتى أجد وبيص الطيب فى رأسه ولحيته» - أى حتى ترى بريق الطيب ولمعانه فى رأس النبى صلى الله عليه وسلم وفى لحيته، وكانت رضى الله عنها ترجل له شعره ، وإذا كان هذا مطلوبا من المؤمن اقتداء بالرسول فى كل مكان وفى كل وقت، فهو أشد طلبا فى المجتمعات الإسلامية الكبيرة - كمجتمع المسجد، ومجتمع الحج - هذه هى طهارة البدن فى مجتمع المسجد.

**أما طهارة الروح والفكر** - فهى فريضة على المؤمن، وشرط فى صحة الإيمان وكماله، لابد أن تكون نقى الروح صافى السريرة، سليم الوجدان حتى تكون مؤمنا صادق الإيمان، ومع ذلك فطهارة الروح والفكر أمر ضرورى فى المسجد - إذا ذهبت إلى المسجد فتخلص من كل ما يربطك بالدنيا، تخلص من الضغينة، والحقد، والشهوة، وحب المال، كن ربانيا روحانيا، حتى تلتقى بإخوانك من المسلمين على نقاء وصفاء، وصدق الله إذ يقول : ﴿ **لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه - فيه رجال يحبون أن يتطهروا، والله يحب المطهرين** ﴾سورة التوبة آيه : ١٠٨.

مجتمع المسجد، مجتمع الطهارة بكل صورها، ولهذا يحب الله أهله، لأن الله يحب المطهرين.

## النظام

إن مجتمع المسجد مجتمع إسلامى فريد فى نوعه، وفيه مميزات وصفات لا توجد فى غيره من المجتمعات، وتحدثنا عن أول هذه الصفات ، وهى الطهارة وسوف نتحدث عن صفة أخرى لهذا المجتمع ، وهى النظام.

والنظام ظاهرة واضحة فى مجتمع المسجد، وله صور وأشكال : انظر إلى المسلمين حين يقفون فى الصلاة وراء الإمام، تجد صفوفا متراصة متماسكة - الكتف إلى الكتف والعقب بجوار العقب، والوجوه كلها نحو البيت الحرام، والقلوب كلها تناجى الله خاشعة مطمئنة، والألسنة كلها تهتف باسمه ضارعة، والجوارح كلها سكون وسلام، نظام دقيق كامل - لا يتحرك أحد إلا إذا تحرك الإمام، ولا يرتفع صوت فوق صوت الإمام، ولا يجرؤ مخلوق على أن يعكر صفو هذه الساعات الروحية.

والإسلام بهذا يريد أن يجعل النظام أسلوب حياة فى مجتمعنا الإسلامى الكبير، ولهذا يدربنا عليه فى المجتمع الصغير، مجتمع المسجد - إنه نظام مثالى دقيق - فيه وحدة المظهر، ووحدة فى السلوك، والتزام بقوانين معينة، فهل وعينا هذه الدروس؟ وهل جعلنا من النظام أسلوبا فى حياتنا كلها؟ يؤلمنى أن يكون الجواب لا - نحن ننهض إلى أعمالنا فى غير نظام، ونسير فى شوارعنا على غير هدى، وإذا أقدم أحدنا على عمل أقدم عليه بدون تخطيط أو ترتيب - سلوكنا يأتى عفوا وبدون نظام، ومنهج حياتنا قائم على غير تخطيط، فإذا نظرنا إلى المجتمعات الأخرى وجدنا النظام والترتيب تماماً كما أمرنا ديننا - يقولون عنا إننا شعوب غير منظمة، وإننا نعتمد على الارتجال فى كل أمورنا - وشبابنا الذين يعيشون فترات من حياتهم فى المجتمعات الأخرى تبهرهم هذه الصور، وتسيطر عليهم فكرة التقدم هناك والتخلف هنا، ويطالبون بتقليد هؤلاء المنظمين فى سلوكهم وعاداتهم - ونحن نقول لشبابنا : أنتم أبرياء، ولكم العذر، لقد ظلمناكم حين لم نقدم لكم صورة صحيحة للمجتمع الإسلامى - من أول يوم أشرقت فيه أنوار الرسالة الإسلامية وُضعت أسس النظام فى هذا المجتمع - ومجتمع المسجد واحد من المجتمعات التى يدربنا فيها الإسلام على النظام وعلى الطاعة، وعلى أمور أخرى كثيرة. عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إنما جعل الإمام ليؤتم به، فلا تختلفوا عليه، فإذا ركع فاركعوا، وإذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا ربنا لك الحمد - وإذا سجد فاسجدوا، وإذا صلى جالساً فصلوا جلوسا أجمعون، وأقيموا الصف فى الصلاة فإن إقامة الصف من حسن الصلاة» أى أن النظام فى المسجد جزء من تمام الصلاة - وقال صلى الله عليه وسلم : «سووا صفوفكم فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة».

## فهل بعد ذلك عناية بالنظام؟

والنظام فى المسجد مظهر من مظاهر الوحدة فى الشكل وفى الجوهر، وتدريب على الطاعة لأولى الأمر، وعلى الالتزام بالقوانين والتعاليم - والنظام فى مجتمع المسجد مظهر آخر من مظاهر المساواة بين المسلمين، فالجميع أمام الله سواء ، لا يتقدم غنى لغناه، ولا يتأخر فقير لفقره، بل إنك لترى الضعفاء من الشيوخ والفقراء يسبقون إلى الأماكن الأولى فى المسجد، لأنهم يبكرون فى الحضور، ولهم من الاحترام والإجلال ما يثبّت معنى المساواة فى القلوب - فى أى مجتمع آخر نرى هذه الصورة؟ فى أى مكان فى الدنيا نجد هذا المجتمع؟ فى أى حضارة يتحقق هذا السلوك الإنسانى الرفيع؟ لا شئ من ذلك إلا فى الإسلام.

الإمام هو القدوة، إذا ركع ركع المصلون، وإذا رفع رفعوا، وعلى الأرض تطمئن الجباه كلها، لتعلن الخضوع لله، ولتعلن فى الوقت نفسه الحقيقة الكبرى التى فقدتها الدنيا ووجدها الإسلام وحده فطبقها أروع تطبيق - حقيقة المساواة، جبهة العظيم على الأرض إلى جوار جبهة الفقير - وربما كانت خلف أقدام جافة شققتها قسوة الحياة الخشنة، ولا نفور ولا ترفع، بل خضوع لله وخشوع، والكبرياء لله وحده.

أقول لك الحق يا أخى المسلم - لقد ظلمنا ديننا وتعاليمه. وظن بعضنا أنها مجرد طقوس لا معنى لها، ونحن مخطئون - فلنفهم الدين كما يجب أن يفهم، ولنقف عند حدوده وشرائعه، ولنجعل من تعاليمه دستور حياتنا. ويومئذ نعرف ويعرف شبابنا أنه دين كامل.

## المعرفـــة

لقد رأينا فى هذا المجتمع من قبل طهارة بدنية وروحية. ورأينا فيه سلوكا قائما على النظام والوحدة والمساواة، فماذا فيه بعد ذلك؟

فى مجتمع المسجد الكثير والكثير من سمات الكمال الإسلامى.

مجتمع المسجد مجتمع علم وفقه - إلى جانب كونه مجتمع عبادة وطاعة - فيه بحث ومعرفة، وفيه هداية وإرشاد - ولعل هذه الفكرة كانت بعيدة عن أذهان شبابنا، أو بعضهم على الأقل - إنهم يذهبون إلى المسجد للعبادة، وحسبهم أنه مكان طاهر نعبد الله فيه ثم نعود إلى بيوتنا.

والحقيقة أن المسجد مكان للدراسة وللبحث العلمى. ومجال للتزود من المعرفة والتفقه فى الدين، ولا أحسبنى أكون مخطئا حين أقول : إن العبادة معرفة وعمل فى سبيل الله، وفى سبيل الحياة الأخرى، وأن المعرفة عبادة بما فيها من كفاية للنفس، وحفظ لها من الجهل - ومعروف أن العبادة يمكن أن تتم فى كل مكان، وهذا من مزايا الإسلام - وأن المعرفة تحصل أيضاً فى كل مكان لكن يحسن أن يكون لهما مكان معين هو المسجد، تتهيأ فيه الظروف، وتتحقق الوسائل التى تساعد على المعرفة وعلى العبادة.

بهذه الصورة بدأت المعرفة. وبدأ العلم فى الإسلام، فى المسجد كان العلم، وكان التعليم- ولقد اتخذ الرسول صلوات الله وسلامه عليه مدرسة يلتقى فيها بأصحابه فيعلمهم، ويتلو عليهم القرآن، ويشرع لهم الشرائع - وفى هذه المدرسة تربى أبو بكر وعمر وكل الصحابة رضوان الله عليهم، وكان محمد صلى الله عليه وسلم حريصا على أن يبين للناس قيمة العلم، وأن يوضح لهم أن المسجد مكان للعلم كما هو مكان للعبادة، روى عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فإذا هو بمجلسين أحدهما يذكرون الله تعالى، والآخر يتفقهون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كلا المجلسين على خير، وأحدهما أحب إلى من صاحبه، أما هؤلاء فيذكرون الله ويسألونه فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما المجلس الآخر فيتعلمون الفقه، ويعلمون الجاهل، وإنما بعثت معلما» وجلس إلى أهل الفقه.

ولقد اتبع الصحابة سنة رسول الله ، وسار الخلفاء على هديه، فما نزلت بالمسلمين شدة ، أو حزبهم أمر إلا لجأوا إلى المسجد يخطبون، أو يتشاورون - وبهذا كان المسجد مجتمع المعرفة، ومجتمع الشورى، وكان أيضا مجتمع القضاء والفتوى، وكان مجتمع الخير كله.

فى صحيح البخارى : « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد فأقبل ثلاثة نفر - فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذهب واحد - فأما أحدهما فرأى فرجة فجلس، وأما الآخر فجلس خلفهم - فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا أخبركم عن الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه».

وعلى مدى التاريخ الإسلامى كله صارت المساجد مدارس علم، ومعاهد فقه - تخرج فيها صفوة من العلماء الذين نعتز بهم - والذين حفظوا للدين ثروته العلمية، وزادوا ما

فيه من ألوان المعرفة، واذكروا معى الحرم المكى، والحرم النبوى ، والمسجد الأقصى، والأزهر الشريف، وجامع الزيتونة، والمسجد الأموى، اذكروا هذه المساجد، وما كان فيها من حلقات العلم والبحث لتعرفوا قيمة المساجد فى البحث وفى نشر العلم والمعرفة.

من هنا كان علينا حين نفد إلى المسجد يوم الجمعة، أن نقصد إلى المعرفة والعلم، كما نقصد إلى العبادة والطاعة، وأن نجعل من اجتماعاتنا فى المساجد ندوات علمية.

ومجتمع المسجد - بعد هذا - مجتمع الوفاق والحب والصفاء - كل من فيه إخوة متحابون، يسلم بعضهم على بعض، كلمتهم واحدة، ودعوتهم واحدة، والتعامل بينهم قائم على الرفق والاحترام.

وفى المسجد من الأدب والهدوء، ومن حسن السلوك، وخفض الصوت، ومن احترام مشاعر الناس - ما لا تراه فى مجتمع آخر - لا تسمع فيه كلمة نابية، ولا ضحكة عالية، ولا ترى سلوكا شاذا ولا فعلا قبيحا - الناس فى طاعة - تحفهم السكينة، ويلفهم الوقار.

وبعد - فما أكثر ما فى مجتمع المسجد من صفات - وليس المهم أن نعرفها فحسب - وإنما المهم أن نجعل منها نماذج نطبقها فى مجتمعنا الإسلامى الكبير.

أيها المسلمون

أقول ما تسمعون وأستغفرالله العظيم لى ولكم

ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

# شعائر الله

الحمد لله حمداً حمدًا والشكر لله شكرا شكراً

والصلاة والسلام على المعلم الهادى إلى سواء السبيل الناطق بالحكمة والمسدَّد فى الرأى الذى بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة وجاهد فى الله حق الجهاد حتى أتاه اليقين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

وبعد ....

أيها الناس..

قال الله تعالى : ﴿ **ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب** ﴾ سورة الحج آية ٣٢.

الشعائر جمع شعيرة، وهى ما ندب الشرعُ إليه، وأقر بالقيام به - فهو الفريضة المحكمة، والإرادة الإلهية النافذة - وشعائر الله أوامره التى يجب أن تطاع تعبداً وخضوعا - فَهِمَ العبدُ سرَّها أو لم يفهم، أدرَك غايتها أو لم يدرك - ويكفى أن الله سبحانه نسبَها لنفسه حتى تأخذ حقها من التعظيم والتقدير.

وقد وردت هذه الآية فى سياق آيات تتحدث عن الحج - ولهذا قال بعض المفسرين : إن شعائر الله هى أوامره الخاصة بالحج كرمى الجمار، ونحر الإبل، والسعى بين الصفا والمروة - وزاد بعض المفسرين رأيا يقول : إن الشعائر هى (الإبل) التى تساق للذبح تكفيرا عن الذنوب - وتقرُّبا إلى الله بإراقه الدماء - قالوا إن الشعائر هى (البُدْن) أى الإبل. وتعظيمها هو اختيار السمين الحسن منها - ويؤيد ذلك قولُ الله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **والبدُن جعلناها لكم من شعائر الله . لكم فيها خير** ﴾ سورة الحج آية ٣٦.

وكل هذا يتعلق بالدماء، وبأثرها فى التقرب إلى الله فى الحج ويوم النحر.

عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال :«ما عمل ابن آدم يوم النحر عملا

أحبَّ إلى الله من إهراق دم - وإنها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها - وإن الدمَ ليقع من الله بمكان قبل أن يقع من الأرض - فطيبوا بها نفسا».

وعن أبى رافع أن رسول الله ﷺ كان إذا ضحّى اشترى كبشين سمينين أقرنين أملحين - فإذا صلى وخطب الناس أُتَى بأحدهما - وهو قائم فى مصلاه فذبحه بنفسه بالمدية - ثم يقول : اللهم هذا عن أمتى جميعها - مَن شهد لك بالتوحيد، وشهد لى بالبلاغ. ثم يُؤتى بالآخر فيذبحه بنفسه، ثم يقول : «هذا عن محمد وآل محمد - فيطعمها. جميعا للمساكين - ويأكل هو وأهله منها».

ولا جدال فى أن الذبح شعيرة من شعائر الله، لها موقعها عند الله - لكن الذى لا شك فيه أيضا أن الذبح شعيرة واحدة من الشعائر، وليست هى كلَّ الشعائر - والآية الكريمة تقول : ﴿ **والبدن جعلناها لكم من شعائر الله** ﴾ سورة الحج آية ٣٦ - فهى من الشعائر - وقوله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله** ﴾ سورة المائدة ٢ - يدعم هذا الرأى - وقد قال أكثر المفسرين : إن الشعائر هنا هى المحرمات، أى لا تجعلوا المحرمات حلالا.

وإذا كانت الآية قد سيقت مع الحديث عن الحج فإن هذا لا يمنع أن تكون الشعائر هى كلَّ أوامر الله تعالى فى الحج وفى غير الحج - وهى تلتقى فى المعنى مع قوله تعالى ﴿ **ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه** ﴾ سورة الحج آية ٣٠ - فالحرمات هى الأشياء التى حرمها الله - وتحريمُها أمر يجب أن يُطاع، وفيه الخير لصاحبه - لأنه إذا كان فعلُ الطاعَات يستحق الثواب - فإن ترك المعاصى يستحق، أيضا الثواب - لأنه يحمل معنى الخضوع لله، ولأن فيه امتثالا لأوامره سلبا أو إيجاباً.

والحقيقة أنّ الآيتين صعيد واحد - لكن الأولى تتناول الأوامر الإيجابية التى يحملنا الشرع على القيام بها ﴿ **ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب** ﴾ سورة الحج آية ٣٢.

والثانية تتناول الأوامر السلبية التى ينهانا الشرع عن إتيانها ﴿ **ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه** ﴾ سورة الحج آية ٣٠.

وبعد : ..

ففى آخر الآية لمحة من بلاغة القرآن تظهر فى قوله تعالى : ﴿ **فإنها من تقوى القلوب** ﴾ سورة الحج آية ٣٢ - فإن التعبير (بمنْ) هنا يُفيد أن تعظيم الشعائر وتنفيذ الأوامر جزء من التقوى، وليس هو كلَّ التقوى - ذلك لأن التقوى منزلة سامية وغاية بعيدة لا يكفى فيها مجرد اجتناب الحرمات، وإطاعة التعليمات. التقوى وراء ذلك.

إنها درجةُ القرب، وغايةُ الهُدى - ﴿ **والعاقبة للمتقين** ﴾ سورة الأعراف آية ١٢٨.

واسأل الله لى ولكم التوفيق والهداية والحفظ والرعاية

والحمد لله رب العالمين.

obeikandl.com

# لبيك اللهم لبيك

الحمد لله الذى جعل بيته العتيق مثابة للناس وأمنا

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده.

وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله ﷺ - وبعد : -

لبيك اللهم لبيك - لبيك / لا شريك لك. لبيك / إن الحمد والنعمة لك والملك - لا شريك لك.

أيها الموحدون :

بهذه التلبية الصادقة - أهَلَّ محمد صلواتُ الله وسلامه عليه، عندما استوت راحلتُه قائمة عند ذى الحليفة.

وبهذه التلبية الصادقة أهل أصحابه معه - وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يُهِلُّ بما أهلّ به رسول الله ﷺ - من هذه الكلمات، ثم يقول :

«لبيك اللهم لبيك - لبيك وسعديك، والخير بين يديك، لبيك، والرغباء إليك» ويمضى الزمان - وتمتد الأيام - وتتغير الدنيا - جيلا بعد جيل، وحضارة تعقب حضارة، وتأتى أفكار ومبادئ وتذهب أفكار ومبادئ، ولا تزال الفكرة الإسلامية عميقة الجذور فى قلوب الملايين، ولا يزال الدعاء الصادق يتردد فى جنبات الأرض المقدسة.

هناك - فى كل مكان - فى السهول والبطاح، فى السفوح والوديان، على التلال والآكام، هناك - ترى الوفود الزاحفة، والجموع المتسابقة، وتسمع الدعاء: يدور فى كل قلب، يدوّى فى كل نفس - يتصاعُد من كل فم، فيملأ الدنيا روعة ويقينا - ويهزّ فكرة الحياة الرتيبة فى الصحراء النائمة، ويبعث فيها روحا من حياة عابدة مؤمنة، ويعطى الإسلام معنى التجدد، كلما مضى الزمان ودارت الأيام.

إنه دعاء محمد بن عبدالله، تردده الملايين من بعده - بكل لغة، وبكل لسان، تردده : والقلوب عامرة، والنفوس زاكية، والحياة عندها طريق إلى الآخرة.

هذه الجموع الملبيةُ الزاحفة نحو الحرم الآمن، قد تركت الدنيا، وأقبلت على الله، وتجمعت فى مشهد رائع خالد، مشهد لم تر الدنيا له مثيلا، ولن ترى الدنيا له مثيلا - فى غاياته وأهدافه، فى ملامحه ومظاهره، فى أسبابه ودوافعه، فى قداسته وصفاته وروحانيته.

وهناك على عرفات يكون اللقاء الأكبر - يلتقى الأبيض والأسود، والعربى والعجمى، والغنى والفقير، والسيد والمسود - الكل فى صعيد واحد - يتجه إلى رب واحد - ويؤمن بفكرة واحدة. ويلبى دعوة واحدة هى دعوة إبراهيم عليه السلام.

﴿ **وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا، وعلى كل ضامر - يأتين من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم** ﴾ سورة الحج آيات ٢٧ : ٢٨.

وأى منفعة أعظم من أن يجمعوا كلمتهم، ويوحدوا رايتهم ، ويستردوا عزتهم؟

أى منفعة أولى من أن يعود المسجد الأقصى إلى أهل التوحيد واليقين؟

أيها الأخ الكريم:

لقد أرشد الله إبراهيم إلى مكان البيت الحرام، وأمره أن يقيم بناءه على اسمه وحده، ليكون خالصا من الوثنية، طاهرا من الشرك، نقيا لله ربّ العالمين، بهذا تحدث القرآن الكريم ﴿ **وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بى شيئا، وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود** ﴾سورة الحج آية ٢٦.

وصريح القرآن يدلل على أن البيت أقيم من أول يوم للعبادة الصحيحة، فلا شرك فيه ولا وثنية - وأنه مثابة للطائفين والقائمين والعابدين.

﴿ **وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع والسجود** ﴾سورة البقرة آية ١٢٥ - وصدع إبراهيم بأمر الله، وعاونه ابنه اسماعيل، وقام البيت الحرام، فكان منارا للهدى ومهوى للأفئدة، ومثابة يأوى إليها كل خائف باحث عن الإيمان.

﴿ **إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا ، وهدى للعالمين - فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا** ﴾سورة آل عمران آيات ٩٦ : ٩٧.

ولما تم البناء جاء أمر الله لإبراهيم ﴿ **وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر** ﴾سورة الحج آية ٢٧ - وسمع إبراهيم الأمر، فوقف على الصفا ينادى : «يأيها الناس - إن ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه» ونحن اليوم نلتقى هناك تلبية لهذا النداء - لقد سمعه السعداء، فأتوْا من كل مكان، وسالت بهم البطاح والوديان، وأصواتهم تردد الدعاء الصادق :

لبيك اللهم لبيك - لبيك لا شريك لك لبيك - إن الحمد والنعمة لك والملك - لا شريك لك، فإذا رفعت أيها المسلم صوتك بالدعاء، فاعلم أنك تلبى دعوة الله على لسان إبراهيم، وتُهل بما أهلَّ به محمد الأمين - وإذا كنت فى رحاب البيت الحرام فاعلم أنك فى رحاب الله، وأنها فرصة العمر لتعود - وقد صدق عليك قول الرسول ﷺ.

**( الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ).**

## دعوة إبراهيم

إن الحديث ذو شجون، ومن شجونه فى هذه الأيام المباركة - أن نعود إلى الماضى البعيد، لنرى كيف وُضعت دعائم الإيمان فى الأرض المقدسة، وكيف قام البيت الحرام لتهوى إليه أفئدة المؤمنين - استجابةً لدعوة إبراهيم عليه السلام.

والحقيقة الواضحة أن إبراهيم أكثر من الدعاء، وأن الله سبحانه وتعالى قد استجاب له - فلم يُخب له دعوة، ولم يردّ له رجاء - دعا بها إبراهيم مرتين : مرةً قبل بناء البيت الحرام، ومرة بعد بنائه.

**أما مضمون الدعوة** فيتضح فى أمرين : **أولهما** الأمان والسلام للبلد الحرام - **وثانيهما** : تحقيق العقيدة الموحّدة له ولذريته من بعده، فهو يرجو لنفسه صلاحا، ويرجو لذريته خيرا وفلاحا. قال الله تعالى : ﴿ **وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا ، واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام - رب إنهن أضللن كثيرا من الناس، فمن تبعنى فإنه منى ، ومن عصانى فإنك غفور رحيم** ﴾ سورة إبراهيم آيات ٣٥ : ٣٦.

**وأما الهدف** من ذكر هذا الدعاء فى القرآن - فهو أن يعرف المشركون أن مكة كانت منذ وجدت : موطن التوحيد، وأن الذين عمروها كانوا من ذرية إبراهيم - ومع ذلك فقد تبرأ إبراهيم ممن خرج على فكرة التوحيد - وإن كان قد طلب له المغفرة والهداية ﴿ **فمن تبعنى فإنه منى - ومن عصانى فإنك غفور رحيم** ﴾ سورة إبراهيم آية ٣٦.

**وأما نتيجة الدعاء** فهى الاستجابة، وتحقيق ما طلبه إبراهيم من ربّه - ويأتى ذكر ذلك فى القرآن الكريم صريحا، وفى أكثرَ من موضع : قال تعالى : ﴿ **أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا، ويتخطف الناس من حولهم** ﴾ سورة العنكبوت آية ٦٧ - ﴿ **أو لم نمكن لهم حرما آمنا، يجبى إليه ثمرات كل شىء - رزقا من لدنا، ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾سورة القصص آية ٥٧.

فمكة حرمٌ آمن تجبى إليه الثمرات من بقاع الأرض، والناس من حولها فى خوف ورعب : وصدق الله : ﴿ **إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا، وهدى للعالمين - فيه آيات بينات مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمنا** ﴾سورة آل عمران آيات ٩٦ : ٩٧.

والمتأمل فى كتاب الله يجدْ هذا الدعاء قد تكرر مرتين :

فهو فى سورة إبراهيم كما ذكرنا - وهو من قبلُ فى سورة البقرة - قال تعالى : ﴿ **وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا، وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر** ﴾سورة البقرة آية ١٢٦.

والفرق بين الدعاءين : أن إبراهيم فى سورة البقرة يقول عن مكة ﴿ **رب اجعل هذا بلدا آمنا** ﴾ بصيغة التنكير - وفى سورة إبراهيم يقول : ﴿ **رب اجعل هذا البلد آمنا** ﴾سورة إبراهيم آية ٣٥ - بصيغة التعريف - والسبب أن دعوة إبراهيم التى ذكرت فى سورة البقرة كانت قبل بناء البيت، ولهذا طلب إبراهيم من ربه أن يجعلها بلدا آمنا، وأن يرزق أهلها من الثمرات ﴿ **من آمن منهم بالله واليوم الآخر** ﴾ - فلما أقيم البناء ونظر إليه إبراهيم كان من الطبيعى أن يشير إليه وهو يدعو فيقول : ﴿ **رب اجعل هذا البلد آمنا** ﴾ - ثم يطلب لذريته أن تكون من أهل التوحيد فى بلد التوحيد.

وبعد : فهذه دعوة نبى امتلأ قلبه بالرحمة - فماذا نتعلم منها؟ نستطيع أن نتعلم منها الكثير يا أخى المسلم :

- نتعلم أن تكرار الدعاء أمر مستحب، فإن كثرة الرجاء تدل على شدة الثقة بالله، وعدم اليأس من رحمته - ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون - والدعاء لون من العبادة.

- ونتعلم أن الإنسان حين يدعو يجب أن يعم بدعوته كل إخوته المؤمنين:

هذا إبراهيم دعا لنفسه، ودعا لوالديه -ودعا لذريته من بعده - ودعا للمؤمنين جميعا :

فهو يقول : ﴿ **ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين** ﴾سورة إبراهيم آية ٤١.

ويقول : ﴿ **رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى** ﴾سورة إبراهيم آية ٤٠.

وحين منحه الله نعمتَه وكلمته، وجعله للناس إماما - طلب الإمامة لذريته - قال تعالى : ﴿ **وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن - قال إنى جاعلك للناس إماما - قال ومن ذريتى ؟** ﴾سورة البقرة آية ١٢٤.

ولا ننسى أنه هنا فى دعوته التى تحدثنا عنها كان يدعو للبلد الحرام قبل أن يدعو لنفسه، ولم ينس مع ذلك ذريته : ﴿ **وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا ، واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام** ﴾ سورة إبراهيم آية ٣٥.

وهذه دعوة جديدة - وردت فى قول الله تعالى : ﴿ **ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم - ربنا ليقيموا الصلاة - فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم - وارزقهم من الثمرات - لعلهم يشكرون** ﴾ سورة إبراهيم آية ٣٧ - وهذه - دعوة نبى - ودعوة أب.

فيها من دلائل النبوة وأسرارها - وفيها من ملامح الأبوة وحنانها :

- أمّا دلائل النبوة **فأولها** : ذكر البيت الحرام. فالذرية التى تركها إبراهيم إنّما تركها فى جوار بيت الله. لأنه علم - أن هذا البيت سيكون مهوى الأفئدة - وموطن الأمان والسلام. **وثانيها** أن إبراهيم ترك الذرية فى جوار البيت - رجاء أن يعمروا هذا البيت بالعبادة، وأن يقيموا الصلاة دليل الطاعة والإيمان.

وكان ما أراده النبىّ بدعوته - فمن ذريته الطاهرة جاء محمد بن عبدالله فحقق للبيت ما أراده ربّ البيت من أمان وطهارة.

- وأما ملامح الأبوة فتظهر فى أمرين : **أولهما** أن الأب يشير إلى هذه الذرية الضعيفة التى أسكنها فى واد غير ذى زرع استجابة لدواع بشرية : ودوافع أرادتها السماء امتحانا لهذا الأب المؤمن الصابر، وتعليما لغيره من الآباء والأبناء، **وثانيهما** : أنه يطلب لهذه الذرية رفقاء - يُؤْنسون الوِحدة، ويُذهبون الوحشة - ويطلب لهم رزقا يحفظ عليهم نعمة الحياة.

وشخصية النبى هى شخصية الأب - فلا فرق بين ملامح الشخصيتين، ولا تعارض إذن بين جوانب الدعوة - إنما هى دعوة - ترجو لهذه الذرية خيرى الدنيا والآخرة - فإذا كان خيرُ الدنيا رجاء أب يحنو على أولاده - وكان خيرُ الآخرة رجاءَ نبىّ يطلب الخير لأتباعه - فإن النتيجة فى الحالين واحدة - الخيرُ لهذه الذرية التى حملت للدنيا رسالات النبوات، ثم برزت فى آخر الزمان فكانت خير أمةٍ أخرجت للناس ببركة هذه الدعوة.

وليس عجيبا أن يهتم إبراهيم بمكة - والبيت الحرام - فقد ترك هناك ذريته - وترك عقيدته ورسالته - لقد كانت مكة مدينة إبراهيم - قال صلوات الله وسلامه عليه «اللهم إن إبراهيم حرم مكة حراما - وإنى حرمت المدينة حراما».

ونعود إلى الآية فنجد الكثير من أسرار الإعجاز القرآنى :

أ - هذا إبراهيم يمهد لرجائه، فهو يتقدم إلى ربّه بأسباب الطلب قبل الطلب - يقول فى ضراعة : ياربّ - لقد أسكنت بعض ذريتى فى هذا الوادى - إنهم جزء منى - والوادى صحراوى مجدب - وعند بيتك الحرام تركتهم - فبحق هذا كله هب لهم رفقاء حياة، وهب لهم رزقا من ثمار الأرض - ومن إبراهيم نتعلم أن نقدم بين يدى الدعاء ما يزكيه عند الله.

٢ - وإبراهيم زيادة فى الطاعة والضراعة يكرر النداء العذب (ربّنا) فهو يقوله فى أول الكلام وفى أثنائه أكثر من مرة - ﴿ **ربنا إنى أسكنت - ربنا ليقيموا الصلاة - ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن - ربنا اغفر لى ولوالدى** ﴾.

٣ - وفى هذه الآية وردت كلمة (مِنْ) ثلاثَ مرات - ﴿ **ربنا إنى أسكنت من ذريتى** ﴾ ﴿ **فاجعل أفئدة من الناس** ﴾ - ﴿ **وارزقهم من الثمرات** ﴾.

- أما قوله ﴿أسكنت من ذريتى﴾ فبيان للواقع، لأنه ترك إسماعيل وحده من الذرية مع أمه هاجر.

- وأما قوله ﴿فاجعل أفئدة من الناس﴾ فلتكون دعوته خاصة بقوم معينين - هم المسلمون من بعده، ولو قال «فاجعل أفئدة الناس» لا زدحم عليهم كما قال ابن عباس اليهود والنصارى - ولكنه حين قال «من الناس» أصبح ذلك خاصّاً بالمسلمين.

- وأما قوله ﴿وارزقهم من الثمرات﴾ فدليل قناعة، واكتفاءٍ باليسير القليل من الثمارِ - وما كان لنبى أن يطمع فى كل ثمرات الأرض لتكون رزق أولاده.

ومن بدائع التعبير القرآنى قول إبراهيم «فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم» فإنه جعل الإقامة معهم نتيجة رغبة قلبية - وهوى نفسى حتى لا يقيم معهم كاره - وكم من راغب فى جوار البيت إلى أن يشاء الله - يترك أهله وثروته، ويسعى ليقيم فى الحمى الآمن، وفؤاده سرّهواه.

ويا ربّ ما أعظم كتابَك، وما أروع ما فيه من أسرار وعبر

فاجعلنا يا ربّ أهلا لأن نفهم، ولأن نعتبر.

اللهم آمين.

obeikandl.com

# عرفات - يوم البلاغ

الحمد لله الذى جعل بيته العتيق مثابة للناس وأمنا وجعل الحج إليه فريضة العمر وتمام الأمر والطريق إلى مغفرة الذنوب جميعها، بل إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة وأشهد أن لا إله إلا الله قال لخليله إبراهيم : ياإبراهيم أذن فى الناس بالحج قال إبراهيم وما يبلغ صوتى يارب العزة فقال له مولانا تبارك وتعالى يا إبراهيم عليك الأذان وعلينا الإبلاغ فصعد إبراهيم على جبل أبى قبيس ونادى ياأيها الناس إن ربكم بنى بيتا فحجوه فقالت الأرواح فى عالمها الأمين لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، وأشهد أن سيدنا ونبيناً محمداً رسول الله يقول «الحجاج والعمار وفد الله ، إن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم»

**أما بعد : فياأيها المؤمنون:**

**عرفات** : هو يوم الإسلام - فيه نلتقى، وفيه نجتمع، وليتنا ندرك لماذا نلتقى ونجتمع كنا نلتقى لقاء الأشقاء الأحباء، فأصبحنا نلتقى لقاء الغرباء.

كنا نلتقى والقلوب متآلفة، والنفوس صافية، فعدنا نلتقى والجمع شتيت، والقريب بعيد. لقد جمعنا الإسلام بوحدة الفكر والمشاعر، ووحدة اللباس والمظاهر، ثم فرقتنا الأيام باختلاف الرأى والهوى، وابتعاد المصلحة والغاية، ولم يبق لنا - وا أسفاه - إلا وحدة اللباس والمظاهر.

**عرفات** : هو يوم الأمة الإسلامية، يوم الخلود للدعوة المحمدية، يوم يجب أن تتجدد فيه الحياة، وتعود كما كانت حين نزلت رسالة الله، فملأت الأرض عدلا وحقا، وجعلت العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

**عرفات** : هو يوم الأمة الإسلامية. فيه : تعود إلى نفسها، وتثوب إلى رشدها، وتلتقى بمجدها وتاريخها، ولعلها أن تلتقى بغدها ومستقبلها، لتصبح من جديد خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله.

**عرفات** : هو يوم البلاغ، وقف فيه محمد بن عبدالله على صخرات الرحمة، وخاطب الجموع والتاريخ فوعظ ونصح، وبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ورضى الله عنه ، وأتم عليه نعمته، ورضى هو عن نفسه : ألاهل بلغت ؟ اللهم فاشهد.

**عرفات** : هو يوم التشريع - فيه وضع محمد المبادئ والقواعد، وفيه وضح الحدود والمعالم، وفيه أعطى كل ذى حق حقه :

- دماء المسلمين وأموالهم حرام حتى يلقوا ربهم.

- كل ربا موضوع، وللناس رؤوس أموالهم لا يظلمون ولا يُظلمون.

- استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا.

- تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا - كتاب الله وسنة نبيه.

صدقت يا رسول الله - لقد بلغت - وكل مسلم يحمل اليوم مسؤولية الوفاء.

**عرفات** : هو يوم الشهادة، فيه قال محمد والجموع تسمع وتشهد، والتاريخ يعى ويحفظ : «اسمعوا قولى واعقلوه. تعلمُن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم - اللهم هل بلغت؟ وتجيب الجموع والتاريخ يشهد : اللهم نعم - ويرد الرسول الأمين : اللهم فاشهد.

**عرفات** : هو يوم الوداع - جمع فيه محمد أصحابه كما يجمع الأب عند الفراق أبناءه، فوعظ ونصح، ووصى وقال : «إنى لا أدرى، لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا»، فكان أبلغ مودع، وأصدق ناصح - ويومها : سالت الدموع، وتمزقت الضلوع، وفهم الصِّديق أنه الوداع، وكان ما أراده الله.

ومضى الزمن، والمسلمون يزحفون فى كل عام إلى عرفات، يستعيدون التاريخ، ويتطلعون إلى المستقبل، وإنه لموقف مشهود يتجدد كل يوم على عرفات.

**على عرفات** : يفنى الزمان، يتلاشى فى ملكوت الله، يلتقى أوله بآخره، وتعود نهايته إلى بدايته، وتتجمع الأمة المحمدية كلها فى وجود واحد، فى لحظة واحدة ويتصل كل مسلم على ظهر الأرض بهذا المكان، لا يفرق بينهم ليل، ولا يباعد بينهم نهار - لقد التقى الجديد بالقديم، وعاد الأبناء إلى الآباء، وارتفعت أصوات الملبين إلى السماء، لبيك اللهم لبيك.

**على عرفات** : يذوب المكان، تختفى سجوره وسهوله، عليه تلتقى الوفود والحشود، وإليه تهوى الأفئدة والقلوب، وفيه يتسع المكان، ويمتد إلى اليمين واليسار، ويصبح ملء الأرض حتى تضيق عنه الأرض فيلتقى بالسماء.

**على عرفات** : الجموع يظللها الغمام، ويلفها الرضوان، ويعلو هاماتها نور الإيمان، فى كل قلب لوعة، وفى كل عين دمعة - الأكف ضارعة، والدعوات إلى الله صاعدة، والجوارح ذابت فى فيض من جلال - امتزج الغبار بالضياء، واختلط البياض بالسواد، واتحدت الأرواح بالأجساد، وتغلبت الشفافية على كل جماد، فلا ترى إلا نوراً ينبع من نور. هنا وهناك على الجبل الحبيب - الناس يفترشون الأرض، والرقعة الفسيحة تنبسط فى الطول والعرض،، ذاك شيخ فان يدب على عصاه، وهذا فتى غض يشرق بالغناء ومحياه وهذه عجوز ترفع يداً مهزولة إلى السماء، وتلك صبية ناضرة يفيض وجهها بالضياء، وفوق الجبل ترتفع تراتيل الضارعين، وزفرات الباكين، ودعوات الوجلين الخاشعين. لقد أتعبهم السرى، وأضناهم السهر، فلا ترى - حيث رأيت - إلا ملائكة فى ثياب بشر.

**على عرفات** : تعود الذكريات - تتجسم الرؤى . هنا وقف محمد ولبى - وهنا دعا محمد وصلى. وهناك بلغ وودع. وعلى هذه الصخرات خطت منه الأقدام. ألا ما أطيب العبير حين يفوح من وراء الزمان والمكان، ألا ما أجمل الذكرى حين تطوف بالوديان.

وفى مساء عرفات، ومع الشمس الزاحفة نحو الغروب، تزحف الجموع إلى منى، وتترك وراءها الجبل الحبيب لقد هدأت الأصوات - وتلاشت الدعوات - وسكتت الزفرات - وجفت العبرات. خلا الجبل من زواره، وعاد إلى صمته وسكونه، ولفت رماله أثواب الليل بجلال الرهبة والخشوع.

ولكن - أحقا سكت الجبل ؟ أنصت يا أخى، تسمع من جديد - إن الجبل يهتز - إن الرمال تتحرك، إن الأصوات لازالت هناك - إنها لم تسكت، ولن تسكت أبدا - ستبقى، وستسمع الدنيا دائما هذا الدعاء : لبيك اللهم لبيك - لبيك لا شريك لك لبيك - إن الحمد والنعمة لك والملك - لا شريك لك.

إنه صوت الإسلام - فى يوم البلاغ.

أسأل الله لكم حجا مبروراً وذنبا مغفوراً وسعيا مشكوراً.

# خير الزاد

الحمد لله الذى كان بعباده خبيراً بصيراً وتبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجاً وقمراً منيرا وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذَّكر أو أراد شكوراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خيرة خلقه وحبيبه اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

علمتنا الحياة - فيما تُعلم - أننا على سفر - سفر طويل شاق - بدايته صرخة وليد، ونهايته نعيم دائم أو عذاب مقيم - وعرفنا - فيما عرفنا - من التربية الإسلامية أننا نمضى على طريق الآخرة، وهو طريق محفوف بالمكاره والصعاب - والعاقل من أعدّ العُدة، ورسم الخطة، وحدد المنهج - وتزود فى رحلته بخير الزاد.

وخير الزاد فى سفرنا هذا هو التقوى، والحكيم العليم يقول : ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى** ﴾ سورة البقرة آية ١٩٧.

نعم - خيرُ زاد نُعده فى دنيانا لأخرانا هو تقوى الله - لأن التقوى هى جماع الفضائل، وخلاصة الأخلاق، وغاية التربية، والهدف الأسمى فى حياة المؤمن إذا صدق إيمانه.

ولقد تحدث القرآن الكريم عن (التقوى) فى أكثر من موضع فمنحها ما تشير إليه من مكانة، وجعلها نهاية المطاف - وإذا كانت هذه الآية قد نزلت فى قوم كانوا يفدون إلى مكة لأداء فريضة الحج بدون زاد ويقولون (نحن المتوكلون) فإذا ما قدموا مكة سألوا الناس فأنزل الله قوله هذا (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) ليُبين لهم أن التزود لا ينافى التوكل، بل هو عدة المتوكل وسنده ٠ إذا كان هذا هو سبب نزول الآية فإن المعنى عام يشمل كل زاد وكل رحلة، بل ويقصد إلى سفر الآخرة بدون شك بدليل قوله تعالى (فإن خير الزاد التقوى) - والتقوى هى زاد الآخرة.

ونحن نقرأ قول الله تعالى : ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم، وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين** ﴾ سورة آل عمران آية ١٣٣ - فنعرف أن الله يدعونا - ونحن فى طريق الآخرة - أن نسارع إلى مغفرته وجناته - ثم يبين لنا أن المغفرة والجنة الواسعة العريضة لا يمكن الوصول إليها إلا بالتقوى فإذا أردناهما فلنكن من هؤلاء المتقين.

ولكن. كيف نصل إلى التقوى؟ الأمر شاق وصعب، ومن أراد أن يسلكه الله فى صفوف المتقين فإن عليه أن يبذل الجهد المضاعف، وأن يتخذ من الأسباب والأعمال ما يحقق له هذه الغاية البعيدة. وها هى ذى أيام فضيلة. قد أظلتنا، وهى فرصتنا لنتخذ هذه الأسباب عسى الله أن يجعلنا من أصفيائه المتقين الذين وصفهم فى بقية الآيات السابقة فقال : ﴿ **الذين ينفقون فى السراء والضراء - والكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين، والذين إذا فعلوا فاحشة، أو ظلموا أنفسهم، ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم، ومن يغفر الذنوب إلا الله، ولم يصروا على ما فعلوا، وهم يعلمون** ﴾ سورة آل عمران آية ١٣٤ :١٣٥.

وفى آيات أخرى من نفس سورة آل عمران يصف الله المتقين فيقول : ﴿ **الذين يقولون ربنا إننا آمنا، فاغفر لنا ذنوبنا، وقنا عذاب النار، الصابرين، والصادقين، والقانتين، والمنفقين، والمستغفرين بالأسحار** ﴾ سورة آل عمران آية ١٦ : ١٧.

جوانب متعددة تتناول العمل، وتتناول العقيدة، وتتناول الوجدان - وكلها تحقق هذه الغاية الكبرى - التقوى وزاد التقوى لاينفع الإنسان فى أخراه فقط كما قد يتبادر إلى الأذهان فإنه زاد ينفع صاحبه فى أثناء الطريق وفى غايته ونهايته - ينفعه فى دنياه وفى أخراه، ويكفى دليلا على نفعه فى الدنيا قول الله تعالى : ﴿ **واتقوا الله ، ويعلمكم الله** ﴾ سورة البقرة ٢٨٢ - فالتقوى تمنحك فى الدنيا خير ما فيها - تمنحك العلمَ بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى - العلم بكل صوره، العلم بمفهومه الدينى وبمفهومه الدنيوىّ، العلمَ الذى تفوق علينا فيه الغربيون، كل ذلك نستطيع أن نحققه بالتقوى.

والتقوى تحقق للإنسان فى دنياه الأمن والنجاة، وتعطيه الرزق الواسع الكثير.

أما الأمن والنجاة فلأن الله يقول : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجا** ﴾ سورة الطلاق آية ٣- وأما الرزق الواسع فلأنه يقول بعد ذلك : ﴿ **ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ سورة الطلاق آية ٣.

والتقوى بعد ذلك تكفّر الذنب، وتعظم الأجر، وصدق الله العظيم : ﴿ **ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا** ﴾.

وصدق الله : ﴿ **للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار - خالدين فيها ، وأزواج مطهرة ، ورضوان من الله ، والله بصير بالعباد** ﴾ سورة آل عمران آية ١٥.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

obeikandl.com

# الجهاد فريضة

الحمد لله رب العالمين يحق الحق وهو خير الفاصلين

وأشهد أن لا إله إلا الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم.

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله إمام المجاهدين ورحمة الله إلى الناس أجمعين..

وبعد ..

أيها المسلمون..

## الجهاد فريضة

حقيقةٌ لا شك فيها - وأمامنا مَصْدَر التشريع الإسلامى أمامنا القرآن الكريم، وأمامنا الحديثُ الشريف - وفيهما نقرأ الدليل بعد الدليل - أما فى القرآن فنقرأ :

١ - فى سورة الحج يقول تبارك وتعالى : ﴿ **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا - وإن الله على نصرهم لقدير** ﴾ سورة الحج آية ٣٩ - فهو إذن بالقتال فى أول الآية - لكنه فى نهايتها تكليف صريح - فإن الله قادر على نصرهم بدون قتال أو حرب، ولكنه يعطيهم شرف القتال ليعلِّمهَم معنى العزة والكرامة، وليمنحَهم شرفَ الاشتراك فى نُصرة دينهم.

٢ - وفى سورة البقرة نقرأ قوله تعالى : ﴿ **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا - إن الله لا يحب المعتدين** ﴾ سورة البقرة آية ١٩٠ - فهو أمر بالقتال فى سبيل الله - مع وضع للحدود والقوانين، واستكمال لمواد القانون عند تشريعه.

٣ - وفى نفس السورة نقرأ الأمر الصريح : ﴿ **كتب عليكم القتال وهو كره لكم - وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ سورة البقرة آية ٢١٦ - فالقتال فريضة مكتوبة، كتبها الله على كل قادر دون تفريق أو تخصيص - وهذا تعبير لا يحتاج إلى تأويل أو تفسير.

٤ - وفى سورة النساء نقرأ هذه الآيات : يقول تعالى :

أ - ﴿**فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة - ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما**﴾ سورة النساء آية ٧٤ - فهو أمر بالقتال وبيان للأجر سواء قتل المؤمن أو انتصر ويقول :

ب - ﴿**وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما**﴾ سورة النساء آية ٩٥ - وهو بيان لفضل المجاهدين على القاعدين المتخلفين. ويقول :

جـ - ﴿**فقاتل فى سبيل الله لا تكلف إلا نفسك - وحرض المؤمنين على القتال**﴾سورة النساء آية ٨٤.

فالقتال فريضة على الرسول - وعلى المؤمنين - وعلى الرسول أن يحث المؤمنين عليه بكل وسيلة.

٥ - وفى سورة الصف نقرأ : ﴿**يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم - تؤمنون بالله ورسوله - وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم**﴾ سورة الصف آيات ١٠ : ١١ - فتجارة المؤمن الرابحة تعتمد على قاعدتين هما الإيمان الصادق، والجهاد القاصد - وكلٌّ فى سبيل الله.

وأما فى حديث الرسول فقد روى :

أ - وقف الرسول يوم بدر يُسوى الصفوفَ فقال لأصحابه : «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض».

ب- وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : يا أبا سعيد : مَنْ رضَى بالله ربّا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ رسولاً ونبيا - وجبت له الجنة - قال : فعجب لها أبو سعيد فقال: أعِدْها علىّ يارسول الله ، فَفَعل، ثم قال رسول الله ﷺ : وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة فى الجنة ما بين كُلِّ درجتين كما بين السماء والأرض». قال : ما هى يارسول الله ؟ قال: الجهاد فى سبيل الله». رواه مسلم.

جـ - وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «تضمّن اللهُ لمن خرج فى سبيله، لايُخرجه إلا جهادًا فى سبيلى، وإيماناً بى، وتصديقًا بُرسُلى فهُوَ على ضامن

أن أُدخله الجَّنةَ، أو أرجعَهُ إلى مسكنه الذى خرج منه نائلاً مَا نال من أجر أو غنيمة - والذى نفسُ محمدٍ بيده ما من كَلْمٍ يُكْلَمُ فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كُلم، لونُه لونُ دم، وريحُه مسك - والذى نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدتُ خلافَ سريَّةٍ تغزو فى سبيل الله أبدا - ولكن لا أجد سَعَة فأحملهم ، ولا يجدون سَعَة، ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى والذى نفس محمد بيده لوَدِدْتُ أنِّى أغزو فى سبيل الله فأقْتَلُ، ثم أغزو وأقتل، ثم أغزو فأقتل». صدق رسول الله.

أيها الأخ الكريم.

هذه آيات من كتاب الله، وأحاديث من بيان رسول الله وكلها تعطيك فرضيّة القتال ووجوبَهُ، وتوضح لنا معنى الواجب فى سبيل الله، وفى سبيل العقيدة والمبدأ، وفى سبيل الوطن والشرف.

فإذا نحن عدنا إلى واقعنا اليوم وسألنا أنفسنا هل نحن مسلمون حقا؟ وهل نصدر فى أفعالنا وأقوالنا عن عقيدة تؤمن بفرضية القتال ووجوبه؟ إذا نحن عدنا إلى أنفسنا وسألنا تحيَّر الجواب على ألسنتنا - وجالت فى العيون دمعات، وتحركت فى القلوب زفرات. ولكنها واأسفاه لا تمنحنا شرف الرجولة ولا شرف الإسلام.

إنما ننال هذا الشرف : حينَ تجف الدموع، وحين تقف الزفرات - وحين تنطلق الجموع تحت : راية الحق الإسلامى تعصف بفلول الأمم، وتدمّر صرح اليهودية الزائف، وتستعيد للإسلام عزته. حقق الله الرجاء.

ونسأل الله تعالى أن ينصر الإسلام وأن يعز المسلمين.

والحمد لله رب العالمين.

# ثواب الشهداء

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين

وأشهد أن لا إله إلا الله - لايخيب عنده الحق ولا يُسانَد الباطل.

وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعد ..

فيا أيها الموحدون..

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون. وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن - ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به - وذلك هو الفوز العظيم**﴾سورة التوبة آية ١١١.

أيها الأخ الكريم - هذا عقد بيع وشراء - البائع فيه هم المؤمنون - والمشترى هو الله تعالى اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم، وأعطاهم الجنة والفوز العظيم ثمنا عزيزا غاليا.

قال الحسن البصرى : بايَعهم والله فأغلى الثمن.

والحق أنه عقد عجيب - ففى دنيا الناس يبيع الفرد منا ما يملكه، ويشترى ما لا يملكه، أما هنا : فالناس لا يملكون شيئا. والله سبحانه وتعالى يملك كل شىء، يملك الأنفس والأموال، ويملك الجنة والنار - ولكنه بعزة الكريم وكرم العزيز يشترى ما يملك، ويدفع الثمن الغالى، وزيادة فى التدليل على فضله وكرمه كتب سبحانه على نفسه هذا العقد، وجعله وعدًا يستحق الوفاء، وسجله فى كتبه الخالدة : التوراة كتاب موسى - والإنجيل كتاب عيسى، والقرآن كتاب محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ثم يؤكد الله هذا الوعد حين يسوق هذا الاستفهام المنفى فيقول : ﴿**ومن أوفى بعهده من الله؟**﴾ سورة التوبة آية ١١١ - بمعنى أنه ليس هناك من يوفى بوعده كما يوفى الله،

لأن مقام الربوبية والقدرة هو مقام الوفاء، ولأنه أراد ذلك وإرادتُه غير قابلة للتخلف، ولأنه وعَدَ وعْدَ القادر، وجلالُ القدرة يضمن تحقيق هذا الوعْد - وصدق الله : ﴿ **ومن أصدق من الله حديثا** ﴾سورة النساء آية ٨٧ - ﴿ **ومن أصدق من الله قيلا** ﴾ سورة النساء آية ١٢٢- ﴿ **إن الله لا يخلف الميعاد** ﴾سورة آل عمران آية ٩.

ونتيجةً لكل هذه المعانى يحق للمؤمنين أن يفرحوا، وأن يستبشروا، وأن ينعموا بهذه المنة الإلهية التى عزت على النظير والمثيل، ﴿ **فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به - وذلك هو الفوز العظيم** ﴾ سورة التوبة آية ١١١ - وما قدمناه فى هذه الآية الكريمة بشرى يسوقها القرآن الكريم فيما ساق من بشريات للشهداء ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ **يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون** ﴾ سورة التوبة آية ١١١ - وبشريات القرآن للشهداء من المؤمنين كثيرة متعددة:

منها أنهم ضمنوا الجنة وهم فى الدنيا بدليل هذه الآية.

ومنها أنهم يُمَيَّزُون يوم القيامة بنور يزيد على الأجر المألوف للمؤمنين - اقرأ معى قول الله تعالى : ﴿ **والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم** ﴾ سورة الحديد آية ١٩ - ولعلّ من فضل الله أنه يذكر لهم هذه الميزة من النور فى سورة الحديد بعد أن تحدث عن أنوار تسعى بين يدى المؤمنين/ لنَفهم أنه نور جديد، وذلك حين قال : ﴿ **يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم - بشراكم اليوم جناتٍ تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم** ﴾سورة الحديد آية ١٢.

ومن بشريات الشهداء، أنهم رفقاء الأنبياء فى الجنة، ينزلون معهم أعلى الدرجات، ويتطلع إليهم غيرهم من المؤمنين، واقرأ معى أيها الأخ الكريم قول الله تعالى فى سورة النساء : ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا - ذلك الفضل من الله.** ﴾سورة النساء آية ٦٩.

ومن بشرياتهم أنهم أحياء عند ربهم، قد عصمهم الله من الخوف، وأمّنهم من الحزن، ومد لهم أسباب الرجاء بشرى تتبع بشرى، وفرحة تتلو فرحة، واستمع معى إلى قوله تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا - بل أحياء عند ربهم يرزقون - فرحين بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا**

خوف عليهم ولا هم يحزنون - يستبشرون بنعمة من الله وفضل - وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾سورة آل عمران آيات١٦٩ :١٧١.

وبعد ..

فمهما حاولنا أن نصور ثواب الشهداء عند الله فلن نبلغ من روعة هذه الآيات شيئا - وسنقف موقف العجز لا نملك من البيان ما يساعدنا ويُسعدنا - فنعود إلى حديث الصادق الأمين، الذى أعطى جوامع الكلم، ونكتفى بهذا الحديث:

روى عن جابر بن عبدالله قال : نظر إلىَّ رسول الله ﷺ ذات يوم فقال : «يا جابر - مالى أراك مهتما؟» قلت يارسول الله : استُشهد أبى، وترك دَيْنًا وعيالا. قال : فقال : «ألا أخبرك - ما كلّم الله أحدًا قط إلا من وراء حجاب - وإنه كلّم أباك كفاحا «أى مواجهة» . قال : سلنى أُعْطِكَ قال أسألك أن أُرد إلى الدنيا فأُقتل فيك ثانية فقال الربّ عزّ وجَلّ : قد سبق منى القول (إنهم إليها لا يرجعون) قال : أي ربِّ فأبلغ مَنْ ورائى فأنزل الله : ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا - بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾سورة آل عمران آية ١٦٩.

وأقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

# أسباب النصر

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد :

فيا أيها الأحباب..

هو سؤال - يدور فى الأذهان، ويملأ كل وجدان - متى يكون نصر الله؟ وإلى متى تظل الأمة الإسلامية فى وضعها هذا المهين؟

سؤال يدور بين الناس فرادى وجماعات - وفكرة تَخْطِر على البال كلما تلاحقت أحداث الحياة. وأخشى ما يخشاه المسلم الغيور على دينه أن يرتبط بالإسلام فى أذهان الناس معنى التخلف والضعف فيقال : هؤلاء هم المسلمون - ضلت بهم السبيل، وحار أمامهم الدليل، وأصبحوا نهبا موزعا بين أظافر الشعوب وأنياب الوحوش - طمع فيهم من لا يدفع عن نفسه، ورغب فى أرضهم من كان بالأمس حليف هوان، ورفيق ذلة.

وهذا خطأ فى التفكير يتبعه خطأ فى التعبير - «انتصر اليهود على العرب لأنهم مسلمون». خطأ فى التعبير نتيجة لخطأ فى التفكير، والأولى أن يقال : انتصر اليهود على العرب لأنهم تحللوا من شريعة الإسلام. وهذه هى الحقيقة المرة - نحن مسلمون بالوراثة، مسلمون بالأمانى - أما جوهر الإسلام فنحن أبعد الناس عنه، ولو كنا مسلمين حقا لكان لنا النصر ولكانت لنا العزة، وصدَق اللهُ ﴿ **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** ﴾ سورة المنافقون آية ٨.

وعودوا معى إلى التاريخ. لم ترتفع راية العزة لأمة بمثل ما ارتفعت راية العزة الإسلامية. ولم يكن النصر حليف دين ودعوة بمثل ما كان حليف الدعوة المحمدية يوم خرجت من جزيرة العرب، وشملت أقطار الأرض من شرق ومن غرب فى أروع فتح

عرفه التاريخ، جاء النصر والفتح - ودخل الناس فى دين الله أفواجا - ولم يكن ذلك وليد صدفة وإنما كان وليد أسباب يحسن بنا أن نشير إليها فى إيجاز - **أول هذه الأسباب** - إيمان بالله وبالدعوة ليس وراءه إيمان - ملأ كل قلب، وسيطر على كل نفس، ولم يقف عند حدود الأمانى تحقيقا لقول الرسول : «ليس الإيمان بالتمنى، ولكن ما وقر فى القلب وصدّقه العمل». **وثانى هذه الأسباب** - رغبة فى الموت ترتفع فوق الخوف، وفوق طبيعة البشر - وما أعجب أمر هذا الصحابى الذى فاته أن يشترك فى غزوة بدر مع الرسول فشق عليه ذلك، وقال : إن أرانى الله مشهدا فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرانى الله ما أصنع - فلما كان يوم أحد اندفع إلى المعركة وهو يقول : واهًا لريح الجنة أجدُه دون أحد وقاتل حتى قُتل، ووُجد فى جسده بضعٌ وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية، حتى قالت أخته (الرّبيّعُ بنت النضر) فما عرفت أخى إلا ببنانه ونزل قول الله ﴿**رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا**﴾ سورة الأحزاب آية ٢٣ - بمثل هذه الرغبة فى الموت يُطعن الرجل ويُضرب ثمانين مرة، ولا يبقى فى جسمه موضع سليم تتعرف منه عليه أختهُ إلا أطراف أصابعه - وبمثل هذه الرغبة يكون النصر والفتح المبين.

**وثالث الأسباب** - أن المسلمين أعدوا العدة لعدوهم - لم ينتظروا بدء القتال ليستعدوا - بل كانوا دائما تحت ظلال السيوف لأن الرسول العظيم قال لهم : «الجنة تحت ظلال السيوف»، ولأن ربهم قال لهم : ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوَّ الله وعدوكم**﴾سورة الأنفال آية ٦٠.

**ورابع الأسباب** - أنهم كانوا أمة واحدة، وكيانا واحدا، ورأيا واحدا- ينزل كبيرهم على مشورة صغيرهم، وتجمعهم كلمة الله ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا، ولا تفرقوا**﴾سورة آل عمران آية ١٠٣.

**وخامس الأسباب** - أن أموالهم كلَّها كانت فى سبيل الله - فواحد منهم يجهز جيش العسرة وحده، وثانٍ منهم يحمل كل أمواله ويضعها أمام الرسول فإذا ما سأله الرسول عما ترك لعياله أجاب فى ثقة المؤمن - تركت لهم الله ورسوله - وآخرون لم يجدوا ما

ينفقون فقدموا على الرسول ليساعدهم فلما لم يستطع تولوا وأعينُهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون.

**وسادس الأسباب** تضحية بالنفس، وإيثار يدفع ثلاثة من الجرحى إلى الموت على ظمأ- لأن كلَّ واحد منهم آثر أن يُقَدم الماء لأخيه قبله.

ونقف - فلا نذكر سابعا وثامنا ومائة من الأسباب لأنها كلَّها ترجع إلى مبدأ واحد هو : «نصرة الله».

لقد نصروا الله، ونصروا دين الله فنصرهم الله - وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم.

ونسأل الله النصر على الأعداء

- اللهم آمين والحمد لله رب العالمين.

obeikandl.com